



العميد عبد السلام فجر محمود، رئيس قسم التحقيق في فرع المخابرات الجوية بمطار المزة العسكري، ويكتب اسمه هكذا دون أي ألقاب أخرى، فكل عورات أهل الأرض لا تكفي وجهه عاراً على ما فعله بحق المعتقلين الأحرار في زنزانتنا التاسعة عشرة في مطار المزة العسكري، كانت رائحة لحم عبد الحي المحترق تزيدني يقيناً أنه لن يكون هناك راحة طالما نحن أحياه هناك، حيث مرارة الفناء أشد من مرارة الألم، وملامحنا التي توحدت لأجل الوطن، لن تنساها ذاكرة الجدران أبداً، حيث تمسي (الشمعة) اسمأً أشدّ رعباً من كل أسلحة الأرض فتكاً و موتاً.

كان عبد الحي صاحب الشهادة العليا في الكيمياء قد أمضى معنا 21 يوماً، روى لي خلالها كيف اعتقلوه في كمين على طريق عربين،

ومنذ لحظة وصوله يخرجونه كل يوم ويسبحونه لأكثر من ساعتين، يكملون سلح جسده الذي لم يتبقَ منه شيء، ليعود بعدها والدم ينْزَ من كل مسامه فيه.

بعد أن ذاق معنى الألم والتعذيب الشديد أصبح يخاف من موعد قدمهم، وعلى وقع اقتراب أصواتهم يحاول أن يزحف لإحدى زوايا الغرفة، وينظر إلى ودموعه تسبق كلماته، ومن ذاق عرف.

كانوا يريدون منه شيئاً ولم يعترف به أبداً، كنت في نصف وعيي بعد أن تورمت رجل اليمنى لدرجة مهولة، نتيجة الجرح الذي أصابها وأنا مشبوح في سقف غرفة الموت، بدأت خطواتهم تتتسارع وشتمهم تقترب، لحظات وفتحوا الباب، وقال المساعد المسعّ: عبد الحي محمد أمين، كان عبد الحي لا يقوى على الوقوف، وكانت بقربه بالكاد أستطيع لمس الأرض برجلي، لشدة الجروح التي فيها، رفع المساعد كبله وهو يهوي به على ظهري وهو يقول : " ساعده يوقف ولا حيوان".

ذاك الجبان يعرف أني بالكاد أقف على رجلي فكيف أعين عبد الحي، استندت على الحائط ومددت يدي كي أساعد عبد الحي

على النهوض، وحين شدته انزلقت رجلي بالقبح والدم الذي يسيل منها كل الوقت، فوquette فوق عبد الحي، ولن أنسى حتى آخر لمحه من حياتي كيف انهالوا علينا ضرباً بالكبل أنا وعبد الحي، وكيف كان يضع يده فوق مكان جرح رجلي كي لا يصيبني الكبل فيغمى علي.

وبدل أن أعينه أعاني، بعد الكبل العشرين وضع المساعد رجله فوق صدرى وقال: "شو اسمك أنت ولا" كان فمي مملوءاً بالدم، فقلت له وائل الزهراوى سيدى، قال : "أنت اللي دارس حقوق ما هيك؟ لك في حدا دارس حقوق مهو خاين و كلب يلعن ر.. شو عرصات، أيّ رجل عم توجعك هي الورمانة طلع فيني هون طلع ولاك شايف هالكبل، هادا هو الحقوق تبعك ولا عرضا"

وصربي بكمبه على مكان جرح رجلي فشعرت أني قد انقسمت نصفين وأن رجلي قد انقطعت، لم يغم عليّ لكنني صرخت بأعلى صوتي فزاد ضربه حتى صمت تماماً ولم أعد أشعر بشيء. سحلوا عبد الحي من رجله وأخذوه، كان يمضى وعياته تدقان بي، مضى للعذاب، للحرق، الله اختار الحرق وسيلة ليعذب بها المجرمين من عباده، لكنه إله.

عندما سمعت المساعد يقول (حطوه عالشمعة) أصابتني حالة دوار وانهيار تام، فبعد أن يخلع المعتقل كل ثيابه كانوا يضعونه على كرسي من حديد ثبتو أرجله داخل الإسمنت، بحيث لا يتحرك أبداً، وليس له سطح ليقعد عليه الإنسان . فيجلس المعتقل على الكرسي المقرع، ثم يربطون رجليه مع رجلي الكرسي بالجنازير، ثم يربطون جنزيراً آخر حول خصره مع ظهر الكرسي، ويكلبون يديه للخلف بأصفاد الحديد، فيصبح ملتصقاً تماماً بالكرسي. ثم يأتون بصناديق ويضعونه تحت الكرسي فتكون المسافة ما بين الصندوق وجسد المعتقل أقل من عشرين سـم، ثم يضعون شمعة فوق الصندوق، فتكون الشمعة تحت المنطقة الواقعة بين الجهاز التناسلي والمؤخرة، ثم يشعرون الشمعة تحت المعتقل، وتبعد الشمعة بإحراق تلك المنطقة المليئة بالأعصاب واللحم الطري، ويبعد الصراخ يشق كل صمت هذا العالم الرخيص.

والشمعة رغم كل توصلاتنا لا توقف أبداً عن أكل اللحم الذي يتقطر كالدهن في حالة الشواء، ويبعد المعتقل يحترق ويبحث عن أي خلاص، أي شيء، أي قوة يستدرج بها، أي درب يوقف احتراكه، أي شيء أي شيء. وعندما يصل الاحتراق للحم الأحمر تحت سطح الجلد، يصبح الصراخ عوياً يعجز عنه كل أهل القبور ونبأ نحن بالبكاء، عندما أحرقوا عبد الحي في المرة الأولى أغمي عليه ثلاثة مرات، وهذا ما أغضب المساعد فضربه على رأسه بكل الديابات، فعميت عينه اليمنى .

كان عندما يحدثني يلتفت إلي كله لأنه لا يراني إلا بعينيه اليسرى، وينهض كل الوقت، فالحرق في هذا الجزء من الجسد يجعل كل حركة يقوم بها الإنسان مؤلمة لدرجة البكاء، مضطراً لأن يبقى عارياً من ثيابه كل الوقت.

في تلك الليلة الئاء التاسعة ليلاً والعشرة موتاً فتحوا باب زنزانتنا، ونادوا على عبد الحي، كانوا قد حرقوه منذ خمسة أيام، وجسمه مليء بالجروح وظهره ليس عليه سوى بقايا لحم هنا وهناك.

كان قد فقد كثيراً من قدرته على التركيز، لم يعد بكمال وعيه، رئيس غرفتنا كان ظالماً مجرماً ركل عبد الحي على رأسه وجره إليهم، أمسكوا رجله وسحبوه، بدأ يبكي فور خروجه من الغرفه، أشهد أنه كان رجلاً شجاعاً، وأشهد أن شجاعه بعض المعتقلين هناك يخجل منها الموت.

بعد دقائق ارتفع عويل عبد الحي عرفت أنهم يحرقونه بالشمعة، وبدأ صوته يزداد وعويله يصبح أكثر عمقاً، وينغرس في صدرى كسكن، وبدا لي كم نحن طاعنون في البؤس، وكيف أن من خاطر بروحه قبل جسده لن يجنب أمام الموت وحمّمه، لكن الجسد لعنة.

وذكرت قول عبد الحي: "أخي وائل في بيتنا جنينة ورد صغيرة، ابن جيراننا عمره سبع سنوات سقطت على بيته قذيفة فطار وقع على جنينة الورد وسقاها من دمه، وهناك وطن في الدنيا يسقي حكامه الورود دماء أطفالهم! عندما أدخلوه لزنزانتنا كان في غيبة كاملة، رموه على الأرض وذهبوا، بعد برهة صحا، كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل وكانت ممدداً بقربه، أمسكت يده، وقلت له أخي عبد الحي شد حيلك، فأوّلما لي برأسه عدة مرات وعيته نصف مفتوحتين، وشعرت بيده كيف كانت تشد قليلاً على يدي، اقتربت منه وقلت له: بدك مي عطشان؟ كان يهمس اقتربت منه أكثر فقال: لا تتركني لا تتركني خي وائل لا تتركني، فقلت: لا تخ لـ أتركك أبداً أنا معك يا أخي. وبكيت وتمنيت لو أني أستطيع إنقاذ عبد الحي من مصيره المحتم، الشعور بالعجز شعور قاتل، وما حيلتي وأنا معتقل مثله وعلى مشارف الموت، وكم هو عصي أن يفهم الإنسان أن كل جريمته في وطنه أنه مواطن فيه!! في الليل كانت تأتيني حمى نتيجة لالتهاب جسدي من جرح رجلي، فغفوت ويدي في يده، عندما صحوت وجدت عبد الحي قد مات، كان مغطاً ببطانية وملقاً عند الباب، رحل عبد الحي وتركني هناك، وماذا بقي مني بعده. ولتسمع أيها العالم الذليل: لن نصالح، ولن نرضي، لن ننسى، ولن نستكين، ويا أيها المطر ستعجز أن تغسل آثار دمائنا هناك، عبد الحي: لقد تركت يدك، لكن يديك لم تتركاني لمحه واحدة، لازالت ملامحك تغطي السماء بأكملها، وإنني أشتاقك شوق الأشجار للراحلين، وأحلم بك دوماً وبالجنينة التي شربت من دم الطفل القتيل. وليس لأحد أن يكون ملي دماء كل السوريين، وليس لأحد أن ينوب عنا فيفاوض على عذاباتنا ويسامح بدمنا المسفوح هناك، ومن لم يذق ألم التعذيب فلا يتحدث نيابة عنا . ويا تنظيم الأسد والله لو أتى العالم بأكمله ليحارب معكم، ثقوا بأننا سنهزمكم لوحدهنا، نحن السوريين نحن السوريين الحقيقيين وستعلمون من نكون، وكفانا ذاك شرفاً.

المصدر: شبكة شام الإخبارية

المصادر: